الجذور التاريخية لحركة الصهيونية العالمية

الغزو الفكري

إعداد أ/ محمد الجوهري
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصة—هذا البحث يبحث في الجذور التاريخية لهذه الحركة الصهيونية.
الكلمات الافتتاحية: الجذور، الصهيونية.

I. *المقدمة*

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد أخي الطَّالب، سلامٌ من الله عليكَ ورحمةٌ منه وبركات، ومرحباً بك في سلسلة الدُّروس المقرَّرة عليك في إطار مادَّة الغزو الفكري، لهذا الفصل الدِّراسيّ ، آملينَ أن تجدَ فيها كلّ المُتعة والفائدة، وفي هذا الدرس نتعرف على الجذور التاريخية لهذه الحركة الصهيونية.

II. موضوع المقالة

ما هي الجذور التاريخية لهذه الحركة الصهيونية؟
هل هناك عام محدّد أو عقد محدّد من الزمن، يمكن أن نعتبره بد اية طبيعية لهذه الحركة السياسية، أو الصهيونية؟
في واقع الأمر من الصعب أن نجد عامًا نستطيع أن نجعله بداية طبيعية لهذه الحركة كحركة تاريخية؛ لكن يمكن أن نحدّد بداية طبيعية للصهيونية السياسية والقومية بالذات، ونحن نتكلم عن "تيودور هرتزل " مؤسّس الصهيونية الم عاصرة لكن الصهيونية التاريخية لم تكن وقفًا على "تيودور هرتزل"، وإنما يأتي هذا الرجل ممثلًا حلقةً في سلسلة امتدّت تاريخيًّا إلى ما قبل ذلك بقرون وقرون.
ولذلك أودّ أن أنبِّه هنا إلى : أنّ هناك رباطًا تاريخيًّا، وربما قد أشرت إلى ذلك بين الماسونية العالمية والصهيونية العالمية، الماسونية العالمية كحركة يهودية، والصهيونية العالمية كحركة يهودية، أيهما أسبق؟
ربما تكون الماسونية من ناحية الجانب التاريخي، وربما أيضًا تكون الصهيونية من واقع العمل والنشاط التاريخي. ولعل كثيرًا من المؤرِّخين يرون أنّ الحركتيْن قد نشأ تا ربما في وقت واحد، ولهدف واحد، وإن اختلفت التسميات، واختلفت حقول النشاط، ووسائل النشاط كما سنرى فيما بعد.
لكن على أية حال، نحن نجد أن بعض المؤرِّخين ينبِّه : أن تاريخ الصهيونية يمكن تقسيمه إلى أربع مراحل، خاصة أننا نجد هذا التقسيم عند أشهر المؤرِّخين الي هود وهو: "ليفي أبو عسل". يقول في تأريخه للحركة الصهيونية : "نحن إذا أمعنّا النظر جيدًا، نرى : أن تاريخ الصهيونية يتناول أربعة أزمنة مختلفة:
الأوّل هو: زمن التوراة.
والثاني هو: الزمن السابق على "تيودور هرتزل".
والثالث: الزمن المعاصر لـ "تيودور هرتزل "، والذي ي نتهي بنهاية الحرب العالمية الأولى.
أما الزمن الرابع: فربما يمتدّ ليشمل وعد "بلفور"، وربما يمتد إلى وقتنا الحاضر الآن".
هذا التقسيم ليس تقسيمًا دقيقًا، لكنه تقريبي على كل حال . وكان أوّل من شيّد صرْح الصهيونية، ووطّد دعائمها، ونشر مبادئها.
وقد أثبت الواقع : أنّ الصهيونية ليست في عهدنا سوى حلقة من سلسلة متّصلة الحلقات بعضها مع بعض . أقول: أوّل من شيّد الحركة بشكل منظّم، وربما بشكل مؤسسي هو : "تيودور هرتزل" الذي سوف نتحدث عنه فيما بعد . إنما قبل هذا التاريخ، كان النشاط الصهيوني ربما يميل إلى الفردية أكثر منه إلى الجماعية، ولم تعرف الصهيونية روح العمل الجماعي إلا في القرن التاسع عشر، وربما في بعض عقود متأخّرة من القرن الثامن عشر. وما قبل ذلك، كانت عبارة عن جهود فردية آمَن بها المحافِظون، وعملوا على تنشيط الدعوة إلى أفكارهم، وأعلنوا فكرة العودة إلى أرض فلسطين التي تسلّلت هذه الدعوة، والتفّ حولها الصهيونية المنظمة فيما بعد.
ولكثرة الخلافات حول تاريخ هذه الحركة، نجد أنّ بعض المؤرِّخين يُغالي أحيانًا فيصل بتاريخها إلى نبيّ الله موسى #. ونجد أن "ليفي أبا عسل" مؤرّخ هذه الحركة يقول: "إنّ موسى # كان أوّل مَن شيّد صرْح ال صهيونية، ووطّد دعائمها، ونشر مبادئها "؛ لكن الواقع أثبت أنّ الصهيونية -كما نقرأ تاريخها- ليست إلا حلقات في سلسلة لا يمكن العودة بها إلى نبيِّ الله موسى #.
كما نجد بعض المؤرخين في (دائرة المعارف البريطانية) أيضًا يمدّ هذه الحركة بجذورها، ويحاول أن يضع لها ح لقات أو مسافات تاريخية ترتبط كلّ مسافة بشخص معيّن . فيبدأ بحركة "المكابيِّين" التي أعقبت العودة من السبي البابلي، والتي كان من أوّل أهدافها : العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان . وهذه العودة تمّت على يد "قورش" ملك الفرس، يجعل هذه حركة، أو إحدى الحلقات في تاريخ الصهيونية.
والحركة الثانية يؤرِّخ لها بـ "باركوخيا" الذي أثار الحماسة في بني قومه، وحثَّهم على السَّعي للتجمّع في أرض فلسطين، وإقامة الصلاة فوق جبل صهيون.
ثم تمتدّ الحركات رويدًا رويدًا إلى أن يصل بنا إلى حركة "منشئة بني إسرائيل" التي تمت سنة ١٦٠٤م، وكانت تدعو إلى توطين اليهود في بريطانيا، توطئةً لإعادتهم إلى أرض فلسطين. ويبدو أن هذه الحركة كانت النواة الأولى للصهيونية الحديثة التي وجَدت لها أرضًا خصبة في بريطانيا . ترعرعت، ونمَت، واستطاعت في مدى ثلاثة قرون أن تُسخِّر جميع القوى الإنجليزية؛ لتحقيق أهداف اليهود في فلسطين.
ويبدو أنّ هذه الفترة التاريخية هي التي شهدت حركة الإصلاح الديني على يد "مارتن لوثر"، والتي شهدت أيضًا انتقالًا نوعيًا للعلاقة بين المسيحية واليهودية من جانب على يد "مارتن لوثر"، والتي بدأت تشاهد أو تزامن قضية الإحساس بضرورة الخلاص من اليهود من أوربا، من كل دول أوربا . وبدأت حالة الكراهية لليهود في أوربا، والعمل على تجميع شملهم في أرض فلسطين مستعينين أيضًا بالأساطير الدينية التي أسّستها الحركة الصهيونية قبل ذلك.
وكثير من المؤرِّخين يعتبرون هذه الفترة أخصب الحركات التي تجمّعت ح ولها عواطف الأوربيِّين خاصة المثقّفين منهم، لتشحذ هِمَم وعقول الأوربيِّين بالتعاطف مع الحركة الصهيونية، ودعوة اليهود من الشتات، ومناداتهم بالعودة إلى أرض فلسطين، إحياءً للمملكة الداودية والعمل على إعادة بناء الهيكل في أرض فلسطين، وبالذات على جبل صهيون.
تحدثنا عن بعض المواقف في تاريخ هذه الحركة، وأنّ كل حركة كانت قد ارتبطت باسم عَلَم من أعلام هذه الحركة في فترتها التاريخية. وعند التدقيق، لا نجد قرنًا من الزمان خلا من حركة على يد مفكّر صهيوني يعمل على تحقيق أهداف الصهيونية العالمية . وإذا كنا قد أشرنا إلى قليل من هذه الحركات، فإننا من المهمّ أن نشير إلى بعض الحركات التي ارتبطت بأسماء معيّنة، حتى نصل إلى مؤسِّس الحركة الصهيونية السياسية العالمية، والذي أعطاها بعدًا تاريخيًّا على مستوى العالَم، وهو: "تيودور هرتزل".
قبل مرحلة "تيودور هرتزل"، هناك أيضًا بعض الحركات التي أُكمل بها ما بدأناه . فعلى سبيل المثال: وجدْنا حركة "شبتاي ليفي" في سنة ١٦٧٦م، تاريخ وفاة هذا الرجل. هذه الحركة تولّى قيادتها هذا المفكر "شبتاي ليفي"، وكانت من أشدّ الحركات الصهيونية في وقتها عنفًا وتعصبًا، في نهاية القرن السابع عشر تقريبًا؛ حتى إنّ هذا الرجل ادّعى أنه المسيح المنتظر.
وما لبثت هذه الحركة أن أحدثت ردَّ فعلٍ عكسيّ؛ فجاء "مندلسون" يدعو اليهود والمنتمين إلى الحركات الصهيونية أن يتقبَّلوا العيش مع جيرانهم في البلاد التي يعيشون فيها، وأن يكتفوا بالجانب الروحي من الديانة اليهودية، ويُهملوا الجانب السياسي. هذه العبارة مهمّة جدًّا في هذه المرحلة من التاريخ؛ لأنها تدلّنا على : أنّ أهداف الحركة الصهيونية -وإن تشبّثت بنصوص دينيّة- إلا أنها لم تكن دينيّة خالصة، وإنما كان لها أهداف سياسية ربما كانت هي الأغلب فيما بعد.

المراجع والمصادر

١- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها)، دار القلم ١٩٩٠م.
٢- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أسس الحضارة الإسلامية ورسائلها)، دار القلم ١٩٨٠م.
٣- كونوي زيقلر، (أصول التنصير في الخليج العربي : دراسة وثائقية)، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني، مكتبة ابن القيم ١٩٩٠م.
٤- جريشة، علي، (الاتجاهات الفكرية المعاصرة)، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٠م.
٥- حسين، محمد محمد، (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، دار الرسالة ١٩٩٣م.
٦- الفيومي، محمد إبراهيم، (الاستشراق رسالة استعمار)، دار الفكر العربي ١٩٩٣م.
٧- السباعي، مصطفى، (الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
٨- زقزوق، محمود حمدي، (الإسلام والاستشراق)، دار القلم العربي ١٩٩٤م.
٩- شلبي، عبد الجليل، (الإسلام والمستشرقون)، دار الشعب ١٩٧٧م.
١٠- الطهطاوي، محمد عزت، (التبشير والاستشراق)، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.
١١- خالدي، مصطفى، (التبشير والاستعمار في البلاد العربية)، وعمر فروخ، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
١٢- عبد العزيز العسكر ، (التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي)، مكتبة العبيكان، ١٩٩٣م.
١٣- علي عبد الحليم محمود، (الغزو الفكري والتيارات المحاربة للإسلام)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي، ١٤٠٤هـ.
١٤- السايح، أحمد عبد الرحيم، (الغزو الفكري)، سلسلة كتب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،١٤١٤ هـ.
١٥- البهي، محمد، (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار)، دار الفكر، ١٩٧٠م.
١٦- الزعبي، محمد علي ، (الماسونية في العراء)، مؤسسة مطابع معتوق، ١٩٧٥م.
١٧- عطا، أحمد عبد الغفور، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٧٨م.
١٨- السقا، محمد صفوت، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٢م.
١٩- العواجي، غالب بن علي ، المذاهب الفكرية المعاصرة دورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها)، المكتبة العصرية الذهبية، ٢٠٠٦م.